الأهرام

المصدر :

التاريخ :

توقفت الحرب فى جروزنى دون أن تنتهى، وبينما بدأت القوات الروسية تمشيط العاصمة الشيشانية بحثا عن المقاتلين، وعدت القوات الشيشانية باستمرار الحرب خمسين عاما.. فما الذى يحدث هناك بالضبط؟

هل عادت الحرب الباردة؟:

الشيشان: حرب دينية من أجل البترول!

د. فاطمة سيد أحمد

يرى الكثيرون أن الشيشان حرب دينية ضد الإسلام، ويهاجم كثيرون غيرهم الطريقة القاسية التى تتعامل بها روسيا مع المدنيين، ويرى الشيشان أنفسهم أنها جهاد من أجل الاستقلال، ويرى الروس أنهم يقضون على بؤرة توتر أحدثتها قوى أخرى من خارج البلاد، ويرى غير هؤلاء وأولئك أن روسيا تعلن عن قوتها القادمة، ويرى فريق آخر أن تلك ليست سوى حرب اقتصادية على البترول، وأمام كل هذا تتنوع المواقف ما بين الانتظار الأمريكى، والتحفز التركى، والقلق الجورجى، والإدانة الأوروبية، والهجوم الإسلامى.. إنها أكثر من مجرد حرب داخل دولة.. لم تحسم بعد.. رغم البيانات المتناقضة التى يعلن فيها كل طرف أنه انتصر.

يقول الروس انه بعد أن غادرت القوات الروسية الشيشان فى عام ١٩٩٩، تشكل جيب لايمكن السيطرة عليه فى الأراضى الروسية.. منطقة متمردة من السهل التلاعب بها، وانه عندئذ ظهرت فكرة استخدام الشيشان كخنجر قوقازى لاقتطاع جزء من «قالب الجبنة الروسى» بإقامة دولة دينية فى الشيشان، وفى بعض الجمهوريات الأخرى فى القوقاز الروسى.. ويقول الروس: إن الأموال تتدفق، وكذلك الأسلحة والمدربين الأجانب والمرتزقة بشكل كثيف إلى الشيشان.

فى سبتمبر ١٩٩٩ أعلن فلاديمير بوتين رئيس الوزراء آنذاك والقائم بأعمال الرئيس حالياً أن هناك متمردين أصوليين فى داغستان «يعتبرون أداة لدى دول إسلامية» - فى إشارة إلى تركيا - والهدف هو السعى للسيطرة على موارد الطاقة فى القوقاز.

أما وجهة النظر الشيشانية فتقول أنه بعد عملية جروزنى عام ١٩٩٦ والتى حوصر فيها أكثر من سبعة آلاف جندى روسي، اضطر الروس للخروج من الشيشان تحت مظلة مصالحة كان من أهم بنودها أن يرجأ موضوع استقلال الشيشان خمس سنوات اعتبارا من عام ٩٦، وأن تخرج القوات الروسية من أرض الشيشان، وألا تتدخل فى شئونها الداخلية.

ويذكر الشيشانيون أن الروس ظلوا يتحرشون بالشيشان ويعملون على إثارة الفتن والقلاقل، وقاموا بعدة محاولات لاغتيال «قادة الجهاد» فى الشيشان، وزرعوا عناصر من الاستخبارات الروسية داخل المجاهدين، كما انهم أخذوا يمارسون حصارا شديدا على الشيشان ولم يعترفوا باستقلالها ولم يسمحوا بفتح مطار العاصمة، ومنعوها من التعامل مع العالم الخارجى بحيث لاتتصرف فى مواردها الطبيعية كالنفط والغاز.

بجانب ذلك هناك قناعة لدى المسلمين فى القوقاز بأن جمهوريات الاتحاد الروسى ستتفكك عما قريب، ولكن ليس معروفا سيكون هذا لصالح من؟ ألصالح الشيوعيين؟ أم العلمانيين المرتبطين بالغرب؟ أم لصالح المسلمين؟.. ولذلك فإنهم بادروا بالعمل فى داغستان سعيا لتحرير القوقاز.

ولكن لماذا يؤسلم الشيشانيون قضيتهم؟

هناك مجموعة من العوامل ينكرها قادة الشيشان.. منها مشاركة بعض الشيشانيين فى القضية الأفغانية، ثم انتقالهم إلى الشيشان بخلفيتهم الدينية وأدبيات «الجهاد» الأفغانى ومصطلحاته، وعلى رأس هؤلاء الشيخ فتحى «رحمه الله» ويذكر الشيشانيون انه قد حصل على دعم بمشاركة بعض «الأنصار» الذين أعطوا القضية بعداً آخر، وذلك لخلفياتهم الدينية ودورهم الدعوى بجانب الدور العسكرى.. وعلى رأس هؤلاء القائد الميدانى «خطاب» والداعية الشيخ «أبوعمر السيف».

فى ظل هذا الوضع توجهت أنظار المراقبين إلى الشيشان باعتبار أنها فى طريقها إلى إعادة أجواء التوتر من جديد إلى العلاقات بين روسيا من جهة والولايات المتحدة وتركيا من جهة أخرى.. إذ استقبلت واشنطن منذ شهرين وزير الخارجية الشيشانى «أحمدوف».. وكان الرئيس التركى يقوم بزيارة إلى جورجيا فى مسعى لإطلاق حملة دبلوماسية هادفة إلى لعب دور فاعل وأساسى فى إعادة ترتيب وهيمنة الوضع السياسى لمنطقة القوقاز وآسيا الوسطى فى ضوء الحرب الشيشانية، وهو ما أدى إلى إثارة التساؤلات والتكهنات بشأن ماإذا كانت هذه التطورات هى بداية الخطوات

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

العملية لإبعاد الهيمنة الروسية التقليدية عن هذه المنطقة التى تعتبرها جوارها القريب، وبداية إلى ضم دول المنطقة إلى حلف شمال الأطلنطى لتأمين مسار مشروع خط «باكو-جيهان» الذى سينقل النفط والغاز من جمهوريات آسيا الوسطى والقوقاز إلى العالم براً عبر تركيا بدلا من روسيا.

وأثارت التحركات الأخيرة من قبل واشنطن وأنقرة قلقا متزايدا فى روسيا وتعاملت معها موسكو بعصبية واضحة.. بالرغم من أن الولايات المتحدة حاولت تخفيف حدة الغضب الروسى بالقول أن الوزير الشيشانى استقبل باعتباره مواطنا روسيا وليس كوزير خارجية للشيشان، إلا أن بعض المراقبين لم يخفوا احتمال ارتباط هذه الخطوة من جانب واشنطن باستيائها من عودة «روح الحرب الباردة» إلى العقيدة العسكرية الروسية «الجديدة» التى تنص على إمكان بدء موسكو فى استخدام السلاح النووى، إذا عجزت عن حماية نفسها وحلفائها بالطرق التقليدية، وتأكيدها ضرورة التواجد العسكرى الروسى فى المناطق المهمة استراتيجيا.. يأتى هذا بعد أن أجرت وزارة الدفاع الروسية فى يوليو ٩٩ مناورات تحمل اسم (غرب - ٩٩) .. استمرت لمدة أسبوع وشاركت فيها تشكيلات من القوات المسلحة فى المناطق الغربية لروسيا، وتم خلالها وضع قوات روسية فى حالة تأهب قصوى.

اعتبرت بعض الأوساط الأمنية الغربية أن ذلك إعلان عن نية الكرملين للعودة إلى مناطق كان انسحب منها سابقا، كما يشدد المذهب العسكرى الجديد على أهمية إقامة عالم متعدد الأقطاب ومكافحة الإرهاب باعتباره «مشكلة سياسية».

صحيح أن بعض المحللين السياسيين يؤكدون أن صدور هذه

بعد القصف الروسى العنيف بعض الشيشانيين يبكون على ضحاياهم

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

العقيدة الجديدة القديمة قبل فترة وجيزة من الانتخابات الرئاسية هو نوع من التعزيز لشعبية بوتين الرئيس بالوكالة .. وتسويقه كرجل دولة حريص على أن تستعيد بلاده مكانتها، إلا أن هؤلاء لاينفون وجود أسباب موضوعية لتغيير مواقف الكرملين السابقة.. ومنها توسيع حلف الأطلسى شرقاً، وفقدان روسيا موقعها كدولة عظمى، ومحاولة واشنطن البقاء قطبا واحدا للعالم، فضلا عن عدم إشراك روسيا فى التوقيع على اتفاقية خط أنابيب «باكو - جيهان» الأمر الذى سيؤدى من وجهة النظر الروسية - إلى الإضرار بمصالحها وحرمانها من حوالى ١٦٥ مليون دولار أمريكى سنويا كانت تحصل عليها كرسوم من جراء نقل البترول والغاز الطبيعى من حوض بحر قزوين إلى البحر الأسود، فضلا عن زيادة النفوذ الأمريكى على جمهوريات القوقاز بربطها اقتصاديا بالغرب وتركيا.

هنا تبرز بصفة خاصة جمهورية الشيشان التى تقع فى إقليم شمال القوقاز بين بحر قزوين والبحر الأسود، وتشكل أهمية استراتيجية خاصة لروسيا بالرغم من مساحتها التى تقدر بنحو ١١,٠٪ من مساحة الاتحاد الروسى، إلا أنها بموقعها فى جنوب غرب روسيا تمثل معبرا هاما إلى البحر الأسود، وأيضا تعتبر مركزاً لشبكة النقل والمواصلات التى تربط روسيا بشمال القوقاز من جانب آخر.

الأهم من ذلك أنها مركز هام لصناعة واستخراج وتكرير البترول حيث يقدر الإنتاج بنحو ٧,٣ مليون طن سنويا.

ومن هنا ربما يكون توقيت الخطوة الأمريكية الأخيرة تجاه زيارة المسئول الشيشانى رداً على تنامى التعاون الروسى الإيرانى فى المجال العسكرى، فقد تزامن هذا الاستقبال مع زيارة الأمين العام لمجلس الأمن القومى الإيرانى حسن روحانى إلى موسكو، وتزايدت التوقعات بتصدير أسلحة ومعدات عسكرية روسية إلى إيران «مكافأة» لها على موقفها من الحرب الشيشانية، وعدم وقوفها مع المسلمين فى الوقت الذى ترفع شعارات نصرة الإسلام والمسلمين فى صدور أولوياتها السياسية والأخلاقية.

ويرى بعض المراقبين أنه ربما تكون هناك «صفقة» بين المسئولين الأمريكيين والقيادات الشيشانية، مؤداها أن تحصل واشنطن على معلومات بشأن أسامة بن لادن تسهل القبض عليه، أو تأكيدات بعدم السماح له بالوجود على الأراضى التى تسيطر عليها القوات الشيشانية، فى مقابل الضغط السياسى على الكرملين لإيقاف الحملة العسكرية على الأراضى الشيشانية، إلا أنه فى سؤال للقائد الميدانى شامل باسييف عن مصادر التمويل والسلاح.. قال: إنها كلها غنائم من الجيش الروسى والبعض شراء منهم.. أما بالنسبة لبن لادن فليس هو الممول ولا يعرفه ولكنه يتمنى أن يلتقى معه بعد هذه الدعاية له.

من ناحية أخرى، وقع الرئيس التركى سليمان ديميريل مع نظيره الجورجى إدوارد شيفرنادزة اتفاقا للتدريب العسكرى، بهدف طمأنه جورجيا إزاء الوجود العسكرى الروسى الكثيف فى الشيشان.

وقد اقترح الرئيس التركى أيضاً أثناء زيارته إلى جورجيا إنشاء حلف أمنى لمنطقة القوقاز التى تمتد من بحر قزوين إلى البحر الأسود، يهدف إلى زيادة قدرة دول المنطقة على مساندة بعضها بعضا، ومقاومة الهيمنة الروسية .. ورحب الرئيس الجورجى بهذا الاقتراح، ورأى أنها فكرة تاريخية مهمة جدا، والعالم لا يستطيع أن يظل غير مبال بمنطقة تضم مجموعة من الدول فى أوراسيا.

ووصفت بعض الدوائر السياسية فى أنقرة التحرك التركى الأخير بانه «طموح يستهدف الحد من الهيمنة الروسية فى القوقاز وآسيا الوسطى، تنفيذاً لتفاهم مبدئى مع واشنطن على ترتيب الأوضاع فى المنطقة بشكل يضمن مصالح الشركات الأمريكية فى خط أنابيب النفط والغاز من بحر قزوين إلى الموانىء التركية».

لكن موسكو تستعجل نهاية هذه الحرب لأكثر من سبب:

أولاً: إن استطلاع الرأى الروسى أظهر أن ٦٥٪ من الشعب يأملون أن ينهى الرئيس القادم لروسيا هذه الحرب الشيشانية.. وهو ما يرغب أن يفعله فلاديمير بوتين القائم بأعمال الرئيس لكى تزداد شعبيته خاصة أن التقدم الذى أحرزته القوات الروسية فى المراحل الأولى من حملتها العسكرية قد رفع أسهم بوتين لدى الرأى العام الروسى.

ثانياً: لأن بوتين يقدم نفسه على الساحة العالمية بانه سيقود روسيا إلى عهدها القديم من استراتيجيتها العسكرية ملوحاً بأن روسيا نشرت أول فوج مزودا بجيل جديد من صواريخ ذاتية الدفع، عابرة القارات تسمى «توبول - إم».. ويعتبر هذا إنتاجا مركبا للقرن الحادى والعشرين لا مثيل له فى العالم.. كما تم التنويه عن أن روسيا لديها طائرة مقاتلة متطورة (ميج ٢٩ إس إم تى) مزودة بخزانى وقود إضافيين، مما سيزيد قدرتها على الطيران إلى ٢٢٠٠كم بدلاً من ١٨٥٠كم، وهى القوة التى كانت لدى الجيل الأول، دون أن تفقد بذلك قدرتها على المناورة - وأن وزارة الدفاع الروسية تطور حوالى ١٨٠ طائرة منذ ثلاث سنوات من هذا الطراز وسيكون بإمكان هذه المقاتلة أن تعمل كطائرة تتبع واستطلاع ومركز قيادة وستحمل صواريخ جو/ جو، من كل الأنواع بما فيها الصواريخ التى تستخدمها دول حلف شمال الأطلسى.

وسوف تستند سياسة الردع النووى الروسية بشكل أساسى من الآن فصاعدا على تعزيز قواعد صواريخ (إس إس ٢٥) المرتبطة بشبكة سكة حديد طبقا لخطة

مجموعة من المدنيين الشيشانيين بعد أن اعتقلتهم القوات الروسية

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

إعادة تنظيم القوات المسلحة حيث يكون من السهل تحريك الصواريخ المحمولة على خطوط السكك الحديدية كما أنه من الصعب كشفها.

هذا مع التشديد على تطوير الدفاعات النووية الروسية التقليدية المنتشرة حاليا فى التحصينات تحت الأرض أو على متن الغواصات والمقاتلات الاستراتيجية.

ثالثا: إن روسيا بالفعل تجهز نفسها بشكل عسكرى جديد ليس فقط بالتنويه عن الأسلحة، ولكن ايضاً بتدعيم ذلك باستراتيجية سياسية قادرة على هذا، مما جعل بوريس يلتسين فى سابقة جديدة من نوعها يقدم استقالته فى آخر يوم من الألفية الماضية، ليؤكد أنه يسلم بوتين الشاب القادر على قيادة روسيا فى قرن من الفية جديدة مطالبها اكثر قوة وشبابية وإقداما لا يتحملها من هو فى مثل عمره أو صحته.

رابعاً: تسمى روسيا هذه الحرب غزوا بربريا للإرهاب الدولى لترفع كارت مشروعية القتال وأن على الأطراف الدولية أن تقبل هذا، وأن يكون حكمها من هذا المنطلق.

على الجانب الآخر نجد أن الشيشان لاياملون فى إنهاء الحرب بصورة سريعة لأن ذلك يحقق لهم استنزاف أكبر قدر ممكن من القوات الروسية .. وتضمن لهم التفاوض على إقامة الدولة وانضمام اقاليمها الإسلامية بناء على مصالحه إنهاء حرب عام ١٩٩٦.. وهى تستخدم استراتيجيتها فى هذه الحرب بمبدأ حرب العصابات وهو ماحقق نجاحا خلال الحرب السابقة، وقد نشر المقاتلون الشيشان قناصة على أسطح البنايات المرتفعة الواقعة على الطرق المؤدية لساحة مينوتكا وهو ميناء استراتيجى، ويقوم الجنود الروس بالاستيلاء على المبانى فى جروزنى خلال النهار ثم يتركونها فى الليل خشية تعرضهم للهجمات المباغتة.

كل هذا يدور على تلك الأرض، وينذر بالكثير، لكن الغريب أن الشيشان وسط هذا الخضم يدعمون انفسهم بروايات أسطورية حول رئيسهم الأول «دوداييف» .. فالرئيس الذى قتل باستخدام تليفون محمول يتصل بالأقمار الصناعية فى عام ١٩٩٦.. دفن خلسة.. ولاتزال تفاصيل مقتله غامضة.. ورغم انه اقيمت الصلاة عليه اكثر من مرة إلا أن هناك من يقول انه غادر البلاد ولم يقتل.

ويغذى الكثيرون أسطورة «دوداييف» الذى سيعود، رغبة فى وجود بطل خارق يتحدى الموت، كما تحدى الروس، ومن هنا يظن كثير من الشيشان أن انجلترا سوف تهب لنجدتهم.. وأن دوداييف سوف يعود فى الذكرى الخامسة لإعلان استقلال الدولة.. بل يقولون انه عولج فى قاعدة لحلف شمال الأطلنطى فى المانيا، وانه الآن فى تركيا.. وهم فى انتظاره.■

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الأهرام

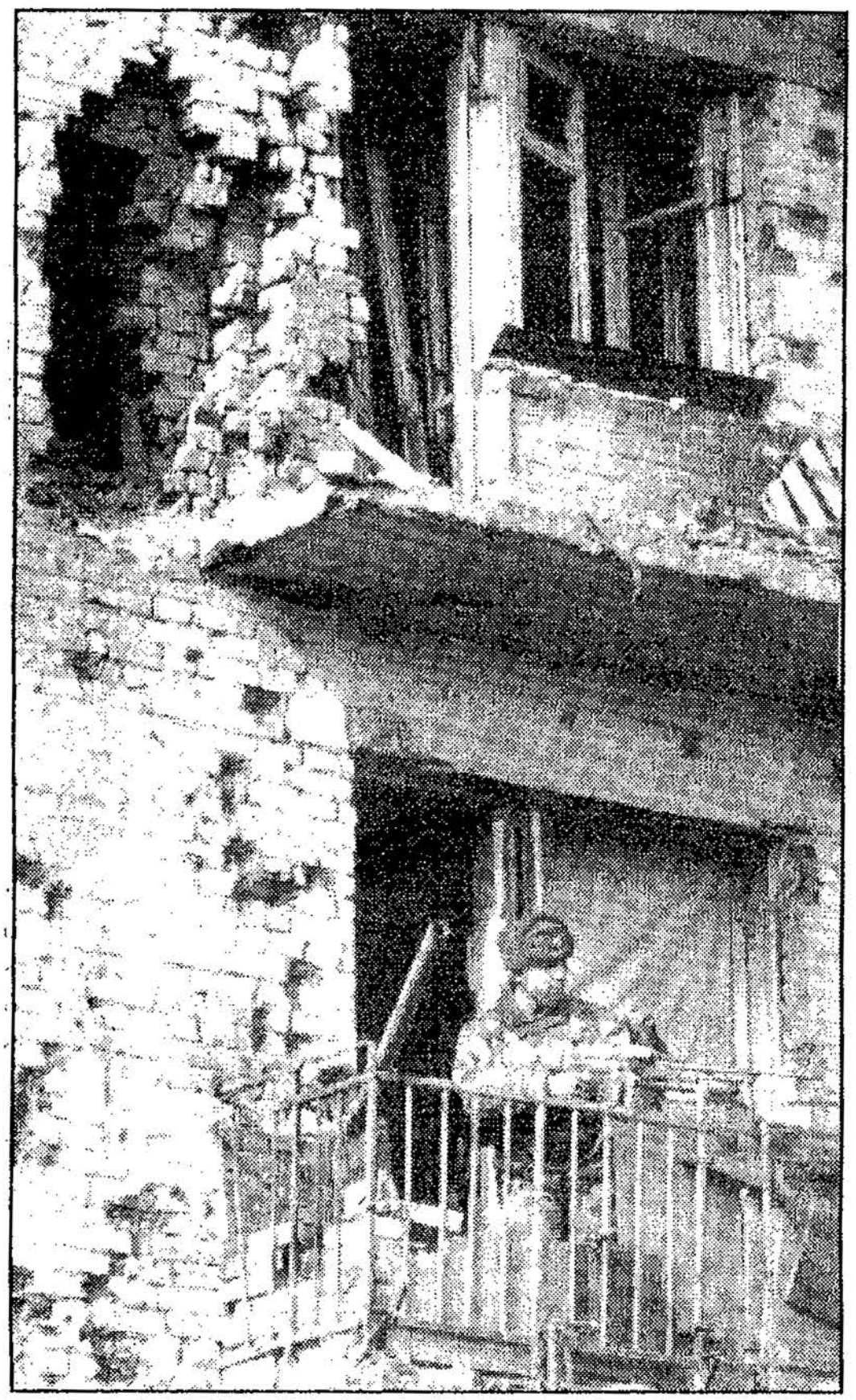

جندى روسى يقف داخل احد المبانى المدمرة فى وسط العاصمة الشيشانية جروزنى.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية

الى انه سينقل الى بوتين المخاوف البريطانية والاوروبية من العمليات العسكرية الروسية فى الشيشان مؤكدا ان توثيق العلاقات بين روسيا والاتحاد الاوروبى يحقق مصلحة الطرفين. ويعد بلير اكبر مسئول غربى يزور روسيا منذ تولى تبين مهام منصبه خلفا للرئيس بوريس يلتسين. من ناحية اخرى اعلن نيقولاى فيلاتوف كبير اطباء الصحة فى موسكو ان العاصمة الروسية شهدت زيادة كبيرة خلال العام الماضى فى الاصابة بمرض الايدز واعرب عن قلقه الشديد لان ٩٠٪ من المرضى الجدد من الشباب الذين تتراوح اعمارهم بين ١٥، ٢٩ عاما. وقال ان عدد المرضى المسجلين خلال عام ١٩٩٩ وحده يفوق اجمالى المسجلين خلال السنوات السابقة مجتمعة وان اكبر نسبة من الاصابة تقع بين مدمنى المخدرات وان عدد المرضى الجدد المسجلين العام الماضى بلغ ٥٢٥٦ مريضا وهذا الرقم يزيد على ١٣ مثلا لعدد المرضى عام ١٩٩٨.

www.ethraadl.com
إثراء المعارف الرقمية